يصلي ويقرأ القرآن فطفق يتعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم ويقرأ عليهم اساطير
الاولين اى ما سطر وهم في كتبهم من الاخبار الامم الماضية واسمائهم وكان يزعم انها مثل
ما يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص الاولين والاساطير جمع السطورة وهي
المسطورة المكتوبة قوله ابلغ في الجحود بكون القران كلاما الهيا منزلا من قبله تعالى فان قوله
لو نشاء لقلنا مثل هذا جحود لكون القران حقا بانكار كونه معجزا حيث ادعوا اتيان مثله
وان عدم اتيانهم به انما هو لعدم تعلق مشيتهم بذلك ولو شاؤا لفعلوا وهذا الادعاء منهم
مكابرة محض وعناد لانه تعالى تحداهم بعشر سنين فما استطاعوا معارضته مع فرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب ما يتعلق بالفصاحة والبيان فلما تحقق افحامهم وعجزهم شدة
المكابرة والعناد الى ان علقوا معارضته بمشيتهم ثم بالغوا في جحود حقيته حيث قالوا ما يدل
على جزمهم ويقينهم ببطلانه فان الاستدعاء ان يعذبوا بمثل هذا العذاب الهايل على تقدير حقية
القرآن وتعليقه عليها انما يصدر عمن جزم ببطلانه فيكون ابلغ في الجحود بحقيته بالنسبة الى انكار
اعجازه وعامة القراء قرؤا لفظ الحق منصوبا على انه خبر كان وجعلوا لفظ هو فصلا لا محل
له من الاعراب وقرئ مرفوعا على ان هو في محل الرفع على الابتداء والحق خبره والجملة خبر كان و
قوله من عند الله حال من معنى الحق اى الثابت حال كونه من عند الله او صفة للحق متعلق بمحذوف
اى هو الحق المنزل من عندك قوله من السماء صفة حجارة فيتعلق بمحذوف اى حجارة
نازلة من السماء وفائدة تقييد الحجارة بكونها نازلة من السماء الدلالة على ان المراد بالحجارة
السجيل وهو حجارة مسومة اى معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة وروي انها حجارة
من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم فلا بد من ذكر السماء ليتعين ان المراد من
الحجارة السجيل اذ لو اقتصر على قوله امطر علينا حجارة لاحتمل ان يكون المعنى صب علينا من جانب
فوقنا حجارة فلا يتعين كون المراد منه ذكر قوله من السماء تاكيد المعنى المستفاد من الامطار وقيل
نزل في النضر بن الحارث بضع عشر آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر فانه عليه
السلام قتل يوم بدر ثلاثا من قريش صبرا وهم طعيمة بن عدى وعقبة بن ابي معيط
والنضر بن الحارث قوله بيان لما كان الموجب لامهالهم مع انهم قد استحقوا الهلاك
بدعائهم حيث سألوا من الله تعالى ان يهلكهم ان كان القران حقا نازلا فبين الله تعالى انه لم
يهلكهم مع استحقاقهم لذلك لامرين الاول كونه عليه السلام فيهم مقيما بين اظهرهم فانه تعالى
لا يهلك اعداء دينه ما دام فيهم حبيبه فيهم تعظيما له وحفظا لحرمته والثاني ان يكون فيهم من
يستغفر من المؤمنين المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة منهم فبقوا فيهم مستضعفين
على ان قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون معناه وفيهم من يستغفر من المستضعفين
وقيل معناه وفي اصلابهم من يستغفر وقيل معناه من يؤول امره الى الاستغفار عن الكفر قوله اوقولهم

اوقولهم اللهم غفرانك اى ويحتمل ان يكون المراد باستغفارهم قولهم اللهم غفرانك وذلك انهم كانوا
يقولون بعد الطواف وروي ان قريشا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الآية ثم ندموا على ما قالوا
لما امسوا فقالوا غفرانك اللهم فهذا هو المراد باستغفارهم ثم انه لما بين ان الموجب لامهالهم هو
هذان الامران ذكر انهم يستحقون العذاب ويعذبون وان لم يكن على وجه الاستيصال متى زال
ذلك الموجب قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله تعالى اى اى شيء لهم في ان لا يعذبهم الله بعد ذلك
وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام فكلمة ان في قوله ان لا يعذبهم
وموضعها الجر بحذف حرف الجر وهذا الجار متعلق بما تعلق قوله لهم معنى الاستقرار قوله
واللام لتاكيد النفي يعني ان اللام في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم لام الجحود والفعل
بعده منصوب باضمار ان وشرطها ان يتقدمها كون منفي فذهب البصريون الى ان خبر
كان في مثله محذوف وهذه اللام يتعلق بذلك الخبر المحذوف والتقدير وما كان مريدا
لتعذيبهم وذهب الكوفيون الى ان هذه اللام مع ما بعدها في محل الخبر ولا يقدرون شيئا
محذوفا ويزعمون ان الفعل بعدها منصوب بنفس اللام لا باضمار ان اللام زائدة
لتاكيد النفي وظاهر كلام المص يشعر بانه اختار مذهب الكوفيون وليس بلازم لجواز
ان يكون مراده بقوله واللام لتاكيد النفي انها مع متعلقها المحذوف لتاكيد نفي العذاب
لان انتفاء ارادة العذاب ابلغ واكد من نفي العذاب حتى في خبر كان الاول دون الخبر
الثاني للدلالة على كونه عليه السلام فيهم ابلغ في كونه سببا لعدم تعذيبهم من استغفارهم
فلن يقلل بركة وجوده عليه السلام بين اظهرهم من بركة استغفارهم قوله اى
دعاؤهم او ما يسمونه صلوة جواب عما يقال من ان المكاء والتصدية ليسا من
جنس الصلوة اجاب عنه اولا بانهما نوع من العبادة والدعاء في زعمهم لما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفرون
ويصفقون فعلم منه انهم يعدونها نوعا من العبادة والدعاء ويجعلونها من جنس
الصلوة فصح الاستثناء بناء على ان معتقدهم عن ... انه قال اعلم الله تعالى انهم
كانوا مع صدهم اوصاء المسجد الحرام كان يقربهم الى الله تعالى بالصفير والتصفيق وثانيا
بانهما استثنيا من الصلوة بناء على انهم يسمونها صلوة حيث امروا بالصلوة في المسجد
الحرام فامتثلوا الامر بها بان فعلوها فيه وثالثا بانهما استثنيا منهم تقريعا للمشركين
بتركهم ما امروا به في المسجد الحرام وجعلهم المكاء والتصدية مكانه فانه تعالى لما حكم عليهم
بانهم لا صلوة اصلا تقريعا لهم بتركهم امتثال الامر وعبثهم بالمكاء والتصدية
باسم الصلوة بناء على جعلهم اياهما مكان الصلوة فعلى هذا يكون الآية من قبيل قول
الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب فانه من كان

Copyright © King Saud University